Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

مجلّـــة الفلـسفـــــة
٢٠٢٦ العـــــدد (٣٣)
الجـــامعة المـستنصريــة

ISSN: 1992-1136

الوعي الروحي في الفلسفة المسيحية الوسيطة . دراسة في فكر هيلدغارد بنجين

م.د. زينب والي شويع

(الجامعة المستنصرية- كلية الآداب- بغداد- العراق)

الكاتب المسؤول: drzainabwaly@uomustansiriyah.iq

الملخص:

يتناول البحث الوعي الروحي في الفلسفة المسيحية الوسيطة من خلال تجربة هيلدغارد بنجين، بعدّها أنموذجا فريدا للتصوف الأنثوي والفكري في العصور الوسطى. ويسلط الضوء على كيفية تَشكّل هذا الوعي ضمن رؤية روحية ترى في الطبيعة والفن والجسد مساحات للتجّلي الإلهي. ويناقش البحث التجليات الوجودية والمعرفية والقيمية والفنية (الموسيقية) في نصوص هيلدغارد، مبرزا كيف عبّرت عنها بلغة رمزية وموسيقية عالية الدلالة. كما يوضح كيف أسهمت هذه التجربة في تطور وعي صوفي يجمع بين الإشراق الداخلي الروحي والانخراط في العالم، ضمن إطار لاهوتي متكامل.

الكلمات المفتاحية: هيلدغارد بنجين، الوعي الروحي، التصوف، التجلي، الرؤى

تأريخ الاستلام: ١٧-١١-٢٠٢٥ تأريخ القبول: ٢٨-١-٢٠٢٦ تأريخ النشر: ١-٦-٢٠٢٦

Spiritual Consciousness in Medieval Christian philosophy: A Study on the Thought of Hildegard of Bingen

Lecturer Dr. Zainab Waly Shwia

Al-Mustansiriyah University / College of Arts – Baghdad – Iraq
Corresponding author: drzainabwaly@uomustansiriyah.iq

Abstract:

This study explores spiritual consciousness in medieval Christian philosophy through the exemplary figure of Hildegard of Bingen, high lighting her unique contribution to both spiritual and in tellectual traditions. The research examines how her mystical awareness emerged within a theological vision that perceives nature, the body, and art as spaces of divine manifestation. It focuses on the existential, epistemological, ethical, and artistic (musical) dimensions of her writings, demonstrating how Hildegard expressed these insights through a symbolic and Lyrical language. Ultimately, the study reveals how now her

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

ISSN: 1992-1136

mystical experience shaped a holistic consciousness that unites inner vision with active engagement in the world.

Keywords: Hildegard of Bingen, Spiritual Consciousness, Mysticism-Manifestation, Visions

.

Received: 27-11-2025 Accepted: 28-1-2026 Published: 1-6-2026

المقدمة

يعد الوعي الروحي (الصـوفي) من الظواهر الفكرية التي عرفها التاريخ الديني والفلسـفي للإنسـانية، إذ لم يكن مجرد ميل إلى الزهد أو التعبد، بل اتخذ في كثير من السـياقات طابعا معرفيا وجوديا، وعبر عن نزوع الإنسـان إلى ما وراء الظواهر، وسـعيه لبلوغ المعنى العميق للذات والعالم من حولها. وفي الفكر المسـيحي اكتسـب التصـوف الروحي بعداً لاهوتيا خاصـا، حيث تداخلت الرؤى الروحية مع الفكر الفلسـفي اللاهوتي، وتحولت التجربة الصوفية إلى شكل من أشكال المعرفة والكشف الروحي.

ولا بد من التوضيح إنَّ مصطلح (الوعي الروحي) المستخدم في هذه الدراسة يقصد به ما يعرف اصطلاحيا (الوعي الصـوفي) وقد أُعْتُمِد الوعي الروحي فيها لأسـباب أكاديمية من أجل توخي الدقة، والمحافظة على السياق المسيحي الوسيط. مع الإشارة إلى إنَّ هذا المصطلح يعكس التجربة الرؤيوية والبعد الروحي العميق ذاته الذي يقصد بالوعي الصوفي.

قد شهدت العصور الوسطى المسيحية ظهور نماذج صوفية أنثوية فريدة، برزت داخل أديرة مغلقة وأزمنة كانت تحاصر المرأة بتصورات لاهوتية صارمة، تربطها بالخطيئة والجهل والضعف، ومن أبرز هذه النماذج المتصوفة الألمانية هيلدغارد بنجين التي قدمت وعيا صوفيا متكاملا، لا يقوم على الانفصال عن العالم، بل على إعادة تأويله كمرآة للتجلي الإلهي في الكون.

وتنطلق هذه الدراسـة من الإشـكالية التالية: هل من الممكن للمرأة التي اقترنت بالخطيئة والجهل في التصورات اللاهوتية الوسيطة، أن تكون عالمة وفيلسوفة وصوفية وطبيبة؟

كيف تشّـكل الوعي الروحي لديها؟ وإلى أي مدى يمكن أن تنطوي تجربتها الصـوفية على تجليات تطبيقية ذات أبعاد وجودية ومعرفية وأخلاقية وفنية (موسيقية)؟

ومن خلال معالجة هذه الإشـكالية تفترض الدراسـة: إنَّ الوعي الروحي عند هيلدغارد بنجين لم يكن تجربة رؤيوية داخلية فحسـب، بل كان خطابا مركبا يجمع بين الفكر والحس في إطار فلسـفي لاهوتي متكامل. وقد تجلى هذا الخطاب في نصـوصـها ورؤاها وموسـيقاها الصـوفية، ومواقفها الأخلاقية، مما يجعل من تجربتها أنموذجا غنيا يمكن دراسته من أبعاد متعددة.

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تسلط الضوء على حضور المرأة في ساحة التصوف المسيحي والفكر الفلسفي الوسيط بعامة، وهو الأمر الذي غاب تماما في الدراسات العربية على حد علمنا بذلك، باستثناء دراسة حديثة (يوسف، ٢٠٢٥) ظهرت بعد إعداد هذا البحث. مما يعكس مساهمته العلمية الأصيلة في حقل الفلسفة المسيحية الوسيطة.

ويستند البحث إلى منهج تحليلي تأويلي، ذ اعتمد البحث على المنهج التحليلي في تفكيك المفاهيم والمقولات الصوفية في نصوص هيهيلدغارد، على المنهج التأويلي في قراءة الرؤى الرمزية والنصوص التي تشكل بنية هذا الوعي الصوفي، بما يتيح فهما أعمق لعلاقته بالوجود والمعرفة والقيم.

١ـ المرأة والفلسفة

لماذا الجدل حول مزاولة المرأة للفلسفة؟ لماذا الحذر الكبير الذي يشوب تسمية المرأة الفيلسوفة؟ على الرغم من إنَّ الفلسفة عندما تجسدت للفيلسوف بوثيوس جاءت على هيئة امرأة، فكان يخاطبها في عزاء الفلسفة بـــ (السيدة الفلسفة) (بؤثيوس، ٢٠٠٨)؟ والحقيقة لم تستطع الفلسفة التخلص من ثوب الذكورية، وهي تمارس عملها، أو كما، وصفها إمام عبد الفتاح إمام، بأنها ظلت تتنفس برئة واحدة (أي إنَّ الرجل هو من يزاولها دون المرأة) (امام، ١٩٩٦، صفحة ٥).وقد أجاب كثير من الباحثين من داخل التخصص، ومن خارجه عن هذا السؤال الجدلي المتعلق بأسباب تغيب المرأة عن مجال الفلسفة، إلا إنَّ أغلب الإجابات لم تخرج عن كونها تدور في فلك التصورات الخاطئة تجاه المرأة.

إننا إذا أردنا الإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نقول إنَّ إقصاء المرأة من الفلسفة لم يكن بسبب عجز في قدرتها العقلية، بل بسبب طبيعة النشاط الفلسفي ذاته، ذلك إنَّ الفلسفة في كنهها الحقيقي هي (نشاط عقلي بحت) Active, وبالتالي لكي يتحقق هذا النشاط يجب أن تتوفر الظروف الملائمة له، بينما كانت المرأة تُحصر في أدوار حياتية واجتماعية اعتبرت في الثقافة السائدة أقل قيمة من النشاط النظري العقلي. ويمكن تصنيف أسباب غياب المرأة عن مجال الفلسفة في نوعين من الأسباب:

الأولى - أسباب ذاتية بايولوجية وجودية وهنا لا نعني بالجانب البايولوجي إنَّ ثمة اختلافاً بين (المرأة والرجل) (والترجمة، ٢٠١٤، صفحة ص٣ ص٤) من حيث تكوين العقل إطلاقا، ذلك إنَّ العقل بتكوينه واحدٌ لدى البشر جميعهم، وإنَّما التكوين البايولوجي لجسد المرأة الذي فرض عليها أن تكون هي الأم التي تلد، وطبعا كان لذلك الأثر الأكبر في تحملها مسؤولية الدور الوجودي الأعظم والأصعب في كونها (أم) ــ أي بناء إنسان في كلِّ المستويات - والذي ستمارسه من لحظة صيرورتها (أُم) إلى حين مماتها دون توقف.

ومن المؤكد إنَّ هذا الدور سيشغل ذهنها في تفصيلات جزئية هائلة، وبالتالي سيعيقها عن مزاولة التأمل أي النشاط العقلي الفلسفي.

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

الثانية - أسباب اجتماعية ـــــ ثقافية، ونعني بها مجمل القيود التي تتعرض لها المرأة من سلطة المجتمع، وبكل مراحل حياتها، وهو الأمر الذي أسـهم به الرجل بشـكل كبير حتى باتّ هو المسـيطر تماما على زمام الأمور فيما يخص الجانب النظري (الفلسـفة)، فمنذ زمن أرسـطو - الذي جعل من الذكر هو الأعلى؛ لأنه الصـورة والماهية والفكر والعقل، في حين إنَّ المرأة هي المادة والجسـد والانفعال والعاطفة (امام، ١٩٩٦، صفحة ٦٥) وحتى عصور طويلة لاحقة ظلت المرأة هي الكائن صاحب المرتبة الثانية، والتي لا تصلح لشيء سـوى إنجاب الأولاد وخدمتهم. ومما لا شـك فيه إنَّ تلك القيود تجلت بأبهى صـورها في العصر ـ المسـيحي الوسـيط، والذي لم تكن المرأة فيه بأفضـل أحوالها، إذ كانت المرأة آنذاك هي رمزا للخطيئة والشر ـ وعلى الرغم من إنَّ السـيد المسـيح (عليه السـلام) جاء منصـفا للمرأة وعاملها ككائن بشر ـي له كرامته ووجوده الإنسـاني المتميز، إلا إنَّ ما وقع عليها في ذلك العهد هو نتيجة للإرث الروماني واليهودي اللذين كانا ينظران إلى المرأة كونها موجودا أقل مرتبة من الرجل، ولا تصلح لأي شيء سوء الإنجاب (امام، ١٩٩٦، صفحة ٧).

لكن مع كل ما ذكرناه لمع نجم امرأة فيلسـوفة متصـوفة وموسـيقية من الطراز الأول، اسـتطاعت بفترة وجيزة أن تكون مرجعا لاهوتيا وفكريا لمعظم دول أوربا ولقرون طويلة، والتي جاءت بفكر ينسـجم ويتناغم مع روح ذلك العصر ـ كما هو الحال مع جلّ فلاسـفة العصر ـ الوسـيط والحقيقة إنَّ وجود مثل هذه العقلية الفذة والروح المرهفة بالحس الصـوفي المتعالي (الترسـنتدالي) حطمت كل القيود التي فرضـت على المرأة في تلك القرون لا، بل إنه كافٍ لكي يثبت عدم جدوى كل النظريات الخاطئة حول المرأة آنذاك.

هنا لابد من الإشـارة إلى إنَّ الفيلسـوفة المسـيحية لم تذكر في جل تواريخ الفلسـفة سـواء أكانت العامة منها أي كتب تواريخ الفلسـفة الشـاملة (Durant, 1926) (Russel, 1945) او كتب تاريخ الفلسـفة المسـيحية (Gilson, 1991) (Gilson E. , 1954) (De wulf, 1909) . وهذا ما يحيلنا إلى إثارة التسـاؤل الآتي: لم لا نجد ذكراً للفيلسـوفة والمتصـوفة المسـيحية هيلدغارد في سـياقات كتب تواريخ الفلسفة أسوة بباقي الفلاسفة المسيحين؟ هل يعتمد تصنيفهم للفلاسفة على نتاجهم الفكري ونصوصهم الفلسـفية؟ أم ثمة معيار آخر؟ إذا كان الأمر كذلك فإن للفيلسـوفة المسـيحية نتاجاً فكري خاصاً بها ورؤى فكرية وصوفية حول مختلف كبرى الموضوعات الوجودية والمعرفية والقيمية، ولا تزال نصوصها موجودة إلى يومنا هذا.

٢. تطور الوعي الروحي في الفلسفة المسيحية الوسيطة

يعد الوعي الروحي (الصوفي) نشاطا عقليا خاصا يمثل أحد مظاهر الوجود الإنساني ومنذ أقدم العصور سعى الإنسان - بوصفه كائنا يمتلك وعيا دينيا - إلى كشف الحقيقة والاتحاد بما يراه مقدساً.

وترى أندرهيل (١٨٧٥ـــ ١٩٤١) إنَّ التصوف دراسة في طبيعة الوعي الروحي للإنسان، في أعمق طبقات التجربة الروحية البشرية، فهو السعي لتحقيق الاتحاد الشخصي المباشر مع الإلهي، على عكس الممارسات الدينية الأكثر تقليدية، والتي غالبا ما تؤكد على العبادة الطقسـية ووالجماعية، يسـعى التصـوف إلى لقاء

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

شـخصي- وعميق وتحولي مع الحقيقة المطلقة أو الله، هذا المسـعى مهم؛ لأنه يمثل ذروة الطموح الروحي البشري، ويعكس توق البشرية الفطري لتجاوز الحدود العادية للوجود، وتحقق اتصـال مباشر وحميم مع المقدس. وتضع الباحثة التصوف في سياقه التاريخي والثقافي الواسع مشيرة إلى أنه ظاهرة عالمية وموجودة عبر تقاليد دينية وفلسفية متنوعة. وتؤكد أهميته في حياة الإنسان؛ مما يشير إلى إنَّ التصوف جانب أساسي من جوانب الطبيعة البشرية. من حكماء الشرق القدماء إلى الرهبان المتأملين في الغرب سـعى المتصـوفون دائما إلى اختراق الواقع العادي لإلقاء نظرة خاطفة على الأبدية. (Underhill, 1912, p. 7).

وعلى الرغم من وجود الوعي الصوفي في الحضارات الشرقية القديمة والفلسفة اليونانية، حتى اعتبر البعض إنَّ مفردة التصوف تعود في أصلها إلى كلمة فيلوسـوفيس (الحفني، ٢٠١٠، صفحة ٣٩٥) . إلا إنَّ الكثير من الباحثين يذهب إلى القول إنَّ لفظ (صوفي) نحت في الفكر الإسلامي (إذ رد نودلكة (١٨٣٦ــ ١٩٣٠) الرأي القائل بأن أصل كلمة التصوف هو يوناني بقوله: السين اليونانية تكتب باطراد في اللغة العربية سينا لا صادا، وأن ليس في اللغة الآرامية كلمة متوسطة للانتقال من (سـوفوس) اليونانية إلى (صـوفي) العربية (ماسـنوس، ١٩٨٤، صـــفحة ٢٦). وقد وردت لفظ التصـــوف لأول مرة في التاريخ في النصـــف الثاني من القرن الثامن الميلادي، إذ لقب به جابر بن حيان أبا هاشم الكوفي المتصوف المشهور (ماسنوس، ١٩٨٤، صفحة ٢٦).

وفي الموسـوعات الإنكليزية وردت مفردة التصـوف (Sufism) على أنها (عقيدة وممارسـة إسـلامية صـوفية يسـعى المسـلمون من خلالها إلى اكتشـاف حقيقة المحبة والمعرفة الإلهية من خلال التجربة الشـخصـية المباشرة لله) (shimmel, 2025).

أما اشـتقاقها في اللغة العربية، فنسـب إلى أكثر من معنى، إذ نسـبت كلمة التصـوف إلى الصـفاء (القشـيري، ١٩٨٩، صـــفحة ١٢٦). وأيضـــا قيل إنها تعني لبس الصـــوف (خلدون، ٢٠٠٥، صـــفحة ٤٦٧). ويعرفه الجرجاني أنه ((علم القلوب الذي يبحث في أحوال النفس الباطنة، ويســـعى إلى تصـــفية القلوب والطهر والتجرد)) (الجرجاني، ١٩٣٨، صفحة ٤٦).

وبالانتقال إلى مدار بحثنا وتحديدا الفكر المســـيحي، فإنَّ جوهر التصـــوف يعد جزءا مهما في التكوين التأسـيسي- للمسـيحية، وعلى الرغم من إنَّ التصـوف المسـيحي لم يظهر بشـكل واضـح المعالم في التراث المسـيحي تحت مسـمى (التصـوف) مقارنة بظهوره القوي والجلي في الفكر الإسـلامي، إلا إنَّ روح التصـوف المسيحي انطلقت مع ظهور المسيحية.

والسؤال الآن: كيف تشكل التصوف في الفكر المسيحي الوسيط؟ وما هي مصادره الأساسية؟

إنَّ أول متصـوف في التاريخ المسـيحي هو (المسـيح) نفسـه، بعلاقته وتجربته الخاصـة جدا مع الله والتي نقلها إلى تلامذته، ثم جرى تطويرها عبر الأجيال اللاحقة (سـكاتولين، ٢٠١٣، صـفحة ١٧٨). ويعد السـيد المســيح المثال الأعلى للطابع الروحي العميق، والذي أثرت حياته وتعاليمه في نشـأة وتطور الفكر الصـوفي

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

(كان يعتزل الناس، ويذهب إلى الجبل أو البرية للصلاة)) (مرقس ١:٣٥ لوقا ٥:١٦) وكان يعمد إلى ((الصيام أربعين يوما)) (متى ١: ٤ــــ٢) وقد ورد في النص المقدس ما يشير إلى الاتحاد بالله إذ قال: (أنا الأب واحد)) (يوحنا ١٠:٣٠) ((الأب فيَّ، وانا فيه)) (يوحنا ١١:١٤) , فضــلا عن ذلك يعبر بولس عن فناء الذات وبقاء الروح المسـيحية فيه، وهو ما نجد له شـبيهاً في مبدأ (الفناء والبقاء) في التصـوف الإسـلامي (طرابيشي، ١٩٩٨)

ذلك إنَّ الشرط الأول لمشـاهدة الله في الحياة الأخرى، والاتحاد به في هذه الحياة هو طهارة القلب: (طوبى لأنقياء القلوب فإنهم يعاينون الله)) (متى ٥: ١). والحال إنَّ هذه تتطلب تكفيرا عن الخطايا الماضـية وتوبة صارمة ومحاربة الحس والأميال الفاسدة والصلاة والتأمل والرياضات لتقوية الإرادة على التجارب، فمجمل هذه تسمى الطريق المطهّرة لكي تشبه يسوع، وتتبعه خطوة خطوة، وممارسة الفضائل الأدبية والإلهية معا ... بذلك نسير في طريق الاستنارة (تانكره، ١٩٥٦، صفحة ١٠). أي إنَّ الكمال يقوم جوهريا في الاتحاد بالله عبرّ المحبة. فبما إنَّ الله هو القداسـة بالذات فلا نسـتطيع إنَّ نتحد به إلا إذا ملكنا طهارة القلب المتضـمنة هذين العنصرين: التكفير عن الماضي، ونزاهة القلب عن الخطيئة وأسـبابها في المسـتقبل (تانكره، ١٩٥٦، صفحة ١٤). ذلك إنَّ التصوف بإيجاز يعني التدريب ـــ التدريب الروحي، لم يدرب الزاهدون أنفسـهم على الحرب الروحية فحســب، بل ألزموا أنفســهم بذلك من خلال الإعلان عن العفّة الكاملة، وبالتالي فإنَّ اللاهوت الزهدي يتجسد في الممارسات العملية (Merton, 2008, p. 19).

وبذلك نلاحظ مدى البعد الروحي الصوفي العميق في العقيدة المسيحية والفكر المسيحي برمته. وهو الأمر الذي أكده بولس (٥ــ حوالي ٦٤/٦٥م) بوصفه وعيا متزايدا بهذا السر فينا، حتى نصل إلى فهم صوفي كامل لسر المسيح فينا (Merton, 2008, p. 41).

وفي السـياق ذاته عن مصـادر التصـوف في الفكر المسـيحي، لا بد من القول إنَّ الأفلاطونية المحدثة، والتي تعد أحد أهم المصــادر التأســيســية التكوينية للفكر المســيحي بعامة، والتصــوف المســيحي بخاصــة (Kenney, 2021, p. 10 ومابعدها) إذ أكد الكثير من الباحثين المختصــين في التصــوف إنَّ الأفلاطونية المحدثة تمثل المصدر الأساس للتصوف في الفكر الإنساني الوسيط، بل إنَّها المصدر الأول للقائلين بوحدة الوجود والحلول (الباكستاني، ١٩٨٦، صفحة ١٢١) . ونظراً للأهمية الكبيرة للأفلاطونية المحدثة في تشكل الفكر الصــوفي المســيحي، بعّدها المنبع الأســاس، لا بد لنا من المرور السـريـع على جوهر أفكارها في هذا المجال، متمثلة بمؤسسها الفيلسوف أفلوطين (ت ٢٧٠) الذي استقى ينابيع التصوف عندما رحل إلى بلاد فارس والهند، واطلع على تعاليم بوذا وديانته، وبراهمة والهند، وديانتهم، وعرف آراء البوذيين في بوذا والبراهمة في كرشفة، وعندما عاد إلى الإسكندرية، أخذ يؤسس للاتجاه الصوفي مع تلامذته، والذي يبحث في موضوعات ما وراء الطبيعة ومنشئ الكون وغيرها، ويتلخص اعتقاده بالآتي:

١. إنَّ الكون صدر عن منشئ أزلي قديم

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

٢. إنَّ جميع الأرواح شعب لروح واحد، وتتصل بالمنشئ الأول عبر العقل.

٣ــ إنَّ العالم في تدبيره وتكوينه خاضع لهذه الثلاثة وهو تحت سلطانها، فإنه منشئ الأشياء وهو مصدر كل شيء وإليه معاده، لا يتصف بوصف من أوصاف الحوادث، فليس بجوهر ولا عرض، وليس فكراً كفكرنا.. ولا إرادة كإرادتنا ولا وصف له، إلا أنه واجب الوجود. يتصف بكل كمال يليق به، يفيض على كلِّ الأشياء بنعمة الوجود، ولا يحتاج هو إلى موجود، وأول شيء صدر عنه يتولد منه، ولهذا العقل قوة الإنتاج، ولكن ليس ممكناً تولد منه. ومن العقل تنبثق الروح، والتي هي وحدة الأرواح، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء، ومنه يتولد كل شيء. فضلا عن ذلك يمكن القول إنَّ الاتجاه العام في مذهب أفلوطين كان يهدف إلى الاهتمام بمسائل الدين والأخلاق، والنزوع إلى الزهد والتصوف، عن طريق تصفية النفس وتطهيرها من الشوائب التي تعلق بها أثناء وجودها في عالم الكون والفساد، وفي رأيه إنَّ مقام النفس البشرية في هذا العالم ليس سوى تهيئة وإعداد للخلود، ولن يكون خلاص الإنسان من هذا العالم إلا بتحرير نفسه من ارتباطها بكل ما في هذا العالم، وتمكينها من الارتقاء صافية نقية طاهرة إلى العالم الروحاني الأسمى (زهرة، ١٩٦٦، صفحة ٣٦.٣٥) (غالب، ١٩٨٦، صفحة ٩.٨).

كان لفلسفة أفلوطين وبعدها الصوفي الأثر الأهم في توجه الفلاسفة المسيحيين اللذين حاولوا أن يوفقوا بين تعالم المسيحية ذات الروح الصوفية، وبين التصوف الأفلاطوني لمدرسة الإسكندرية، لا سيما إنَّ المسيحية في جوهرها إنما جاءت كعقيدة روحية للخلاص والزهد والمحبة. وهو ما تمثل في نظرية الفيض عند أوريجين (ولد ١٨٥م) وبتأثير مباشر من الأفلاطونية المحدثة يقول: (الله روح كامل ... خالق العالم منذ الأزل وبموجب طبيعته، إنَّه هو الخير الكلي، فاعل منذ الأزل، متواصل وفيضي- أبدا)) (كوبلستون، ٢٠١٠، صفحة ٤٦) . وتأكيدا لما أشرنا إليه توا، لا يقبل أوريجين القول إنَّ الله قد خلق العالم في زمن ما؛ لأن هذا القول ينطوي على صيرورة أو تحول في الإرادة الإلهية، وهي صفات يتنزه عنها الخالق، ويجب ملاحظة إنَّ هاتين الفكرتين عن أزلية العالم ونفي الصيرورة عن الإرادة الإلهية من معطيات عقل أوريجين، وليستا من عقيدة الأفلاطونية المحدثة. (إنَّ الله ـ يقول أوريجين - هو خالق المادة الأولى بالمعنى الدين المسيحي، كما إنَّ العوالم لا نهائية عالم بعد آخر، ويخالف أحدهما الآخر أيضا. أما عن الشر- ليس عنصرا إيجابيا، وأما هو سلب الخير وانتفاؤه وعليه لا يمكن بحال القول بأن الله هو الذي خلق الشر ــ والكلمة (لوغوس) عند أوريجين هي سر الخلق وهي فكرة الفكر، وبالكلمة صار كل شيء فهي الوسيط بين الله وخلائقه، أما الروح القدس فهي منبثقة من الربوبية، وفي أثره الأرواح المخلوقة التي تصبح أبناء الله عبر الروح القدس. ويرى إنَّ الأرواح التي صدرت عن الله جميعا سوف تتطهر بعد روح من العذاب لتصبح بعد التطهير خليقة بأن تتحد بخالقها، وبهذا يفصح أوريجين عن عقيدته في عودة كل الأشياء في مداها إلى منتهى أمرها، إلى المبدأ الأول، حيث الله هو الكل في الكل (كوبلستون، ٢٠١٠، صفحة ٤٧) (جونو، ١٩٩٧٤، صفحة ص٢٤ــ٣١) . وإن الله يحتوي الطبيعة كلها، فهي هو وإليه مرجع كل شيء؛ لأن أشياء تستمد وجودها منه فهي تبعا لهذا الله نفسها، وهذا إنَّما يجسد فكرة وحدة الوجود وتأسيسها في الفلسفة المسيحية الوسيطة (بدوي، ١٩٧٩، صفحة ٥١).

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

وفي الحديث عن القديس أوغسـطين (١٨٥ـــ ٢٥٤م) نكون قد وصـلنا بالفعل للمؤسـس الحقيقي للفكر الصـوفي المسـيحي، إذ لا نجد تأثيرا حقيقيا كالذي تركه في تشكل وتطور الفكر الصـوفي المسـيحي إبان العصر الوسـيط. فقد أخذ طريقا جديدا ومختلفا في التصـوف، يقوم على التوفيق بين العملي والواقعي، وحاول في كتاباته أن يوازن بين طابعه الصـوفي وتطبيقاته في شـتى الجوانب، أي أنه عمد إلى أن يكون الوعي الصـوفي متوازنا ومكملا لفلسفته وهو بهذا يكون قد أسس بالفعل لاتجاه الفكر الصوفي المسيحي.

يبحث أوغسطين عن الحقيقة، ويتساءل عن مصدرها فيّنا: عن أي طريق استطعنا أن نقول إنَّ هذه الأشياء حقيقية؟ الطريق هو المعرفة المباشرة (الوجدان) ذلك لأننا في الحالات الأخرى أي في المعرفة الحسـية لا نتصـل بالحقائق مباشرة، ولهذا فإن مقياس الحقائق يكون حينئذ حضـورها في النفس مباشرة (بدوي، ١٩٧٩، صـفحة ٢٣) وبذلك فإن الحقائق على اختلافها يسـتكشـفها العقل ولا يؤلفها، وهو يراها ثابتة ضرورية، ولا يفهم هذا الثبات، وهذه الضرورة إلا بحقيقة قائمة بذاتها، وليس العقل الإنساني تلك الحقيقة، لأنه منفعل ناقص، يتقدم ويتأخر، فهي جوهر أسـمى من العقل أي الله (كرم، ١٩٤٦، صـفحة ٢٩). إذن تلك كانت نقطة الانطلاق في النظرية الإشراقية الصوفية لديه، وهي في الحقيقة إنما تتضمن في ثناياها أبعادا شاملة لمجمل فلسفته (أنطولوجية ومعرفية وقيمّية. لكن كيف تشرق تلك الحقائق في النفس الإنسانية؟ للوهلة الأولى لا يبدو إنَّ هناك ما يشـير إلى إنَّ الروح هي سـبب الأفكار، يبدو أنها تأتي إلى العقل من الخارج بدلا من أن تنبع من الداخل (Gilson E. , 1960, p. 66) وهو ما يسـميه بـــ (المعلم الداخلي) (الله هو المعلم الداخلي) (يستخدم أوغسطين مصطلح الاستنارة، وتعتبر الاستنارة بحق سمة مميزة لفلسفته ـــ كما يرى جيلسـون (١٨٨٤ـــ١٩٧٨) ـــ لدرجة أنَّنا نطلق عادة على نظريته في المعرفة (العقيدة الأوغسـطينية للاسـتنارة الإلهية) (Gilson E. , 1960, p. 77) .كما إنَّ الشـمس هي مصـدر الضـوء المادي الذي يجعل العلوم غير مفهومة للعقل , وهكذا فإن الله بالنسـبة لعقولنا هو ما هي الشـمس بالنسـبة لأبصـارنا , وكما إنَّ الشـمس هي مصـدر الضـوء , فان الله هو مصـدر الحقيقة (Gilson E. , 1960, p. 77) وهو ما يحيلنا إلى القول إنَّ النظرية الإشراقية عنده هي حدس ديني أصـيل قوامه وجود الله في النفس وانكشـافه فيها، فالله عنده، ليس تصـورا مجردا تتم البرهنة عليه بحجج فارغة وجدل عقيم، بل هو وجود فعلي في النفس، وفي الكون يراه الناس، ويشـعرون به وهي حقيقة باطنة يشـعر بها كل فرد (حنفي، ٢٠٠٨، صـفحة ٣٢) لذلك نجده يؤكد ذلك في كتابه (الاعترافات) بقوله: (العنصر الباطني هو الأثمن فيَّ)) (اوغسطين، ٢٠٠٧، صفحة ١٩٨).

وهنا نشير إلى مدى تطور وعمق الوعي الروحي لديه، إذ جعل منه نقطة الارتكاز التأسيسية لمجمل فلسفته، واسـتند في تكوين وعيه الصـوفي إلى جوهر تعاليم المسـيحية، فقد (اتسـم تصـوفه بالتواضـع والمحبة) (Merton, 2008, p. 163) ((المحبة ضرورية أكثر من أي شيء آخر، بدون تلك الفضـائل الثلاث: الرجاء والمحبة لا تشـفى نفس من مرضـها لتتمكن من مشـاهدة الله أي من إدراكه)) ... النظر الصـحيح التام الذي تعقبه الرؤية هو الفضـيلة والفضـيلة هي الإدراك الصـحيح التام، بيد إنَّ هذا النظر بالذات لا يسـتطيع أن يوجه العينين إلى النور، إلا إذا حضرـت تلك الثلاث: الإيمان الذي به نرى الخير الذي يتوق إليه النظر وبه يصبح سعيدا، والرجاء الذي به نتأكد من نظرنا متى كان نظرنا مطابقا للأصول، والمحبة التي بها نرى ونتمتع

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

بالرؤية، ومن الآن تتحقق مشـــاهدة الله التي هي غاية النظر)) (اوغســـطين، خواطر فيلســـوف في الحياة الروحية، ٢٠٠٨، صفحة ٣٧٢) ((النظر يوصل إلى رؤية الله، أي الغاية، وهذا لا يعني إنَّ النظر لن يعود له وجود، بل تعود له غاية يندفع إليها، وفي ذلك عينه كمال حقيقي للفضـــيلة وهو إنَّ العقل يبلغ هدفه الذي هو الحياة الســـعيدة. على إنَّ الرؤية ذاتها هي تلك الفكرة في النفس التي تجد كمالها في التعاون بين من يفكر والفكرة ذاتها، والشيـــء ذاته قائم بالنســـبة إلى الأعين حيث النظر يحتوي على اثنين: حاســـة ترى وشيء محسـوساً، حتى إذا حذفت أحدهما حاسـة ترى وشـيئاً محسـوساً، اسـتحالة الرؤية)) (اوغسـطين، محاورة الذات، ٢٠٠٥، صفحة ٢٣).

ويرى توماس ميرتون (١٩١٥ـــ١٩٦٨) في كتابه (مقدمة في التصوف المسيحي) ((إنَّ جوهر التصوف ليس عقيدة، بل أسلوب حياة، يتطلب وجود مجموعات من الأشخاص الذين يضعون مبادئه موضع التنفيذ)) (Merton, 2008, p. 3) وهو ما لمسناه عند أوغسطين الذي أسس لبناء وعي صوفي، وحاول في معظم نصوصه أن يبدأ منه، وينتهي إليه في تأسيس مذهبه الفلسفي. ولابد من الإشارة هنا إلى إنَّ لآرائه تلك، وتوجه الأثر الأهم في معظم متصوفي الفكر المسيحي في العصر الوسيط، لا سيما الاتجاه الفرنسيسكاني.

أما عن ديونسيوس الاريوباغي (ت ٥٢٠ م تقريبا) فقد أسهمت كتاباته في تطوير الفكر الصوفي المسيحي، والفكرة الأساسية في هذه الكتابات إنَّ عالم المخلوقات ـــ من الملائكة فنازلا ـ يمثل سلما منتظما تعبر كل درجة من درجاته عن إحدى خصـائص الله وصـفاته وهي الأصـل الروحي لهذا العالم، ومن هنا وجدت نظريتان في اللاهوت الأولى: إيجابية ثبوتية، والثانية: سلبية. فاللاهوت الإيجابي حاول أن يفهم طبيعة الله في ضوء الاستدلال. أما منهجه في اللاهوت السلبي، فقد أدى إلى ظهور اللاهوت الصوفي الذي كان له أثر بالغ على الفكر الغربي في العصور الوسطى، ومعنى اللاهوت الصوفي العلم بالله وبالأمور الإلهية علما ذوقيا أو تجريبيا ممنوحا من الله (الخطيب، ٢٠٠٦، صفحة ١٨٠ـــ ١٨١)، فهو بموضوعه وبوسائله علم فائق للطبيعة، لأن الإنســـان لا يملك أن يبلغ بقوته الطبيعية إلى طبيعة الله. ولكن الله هو الذي يجذب إليه الإنســـان، ويرفعه إلى بهائه الذي لا يدركه العقل، وإنما يحســـه القلب ويحبه ويعبده. ولأجل الاتحاد بالله يجب المران بلا انقطاع على التأمل الصـــوفي، يجب اطراح الحواس والأفعال العقلية، والذهاب بقوة فائقة للطبيعة إلى الموجود القائم وراء كل ماهية وكل فكر (كرم، ١٩٤٦، صـــفحة ٥٥). و قد بين ذلك تحديدا في كتابه (اللاهوت الصـوفي) بان المنهج الصـوفي عنده ((التخلي عن كل إدراك حسّي- وعقلي، والانطلاق نحو معرفة روحانية تتجاوز الوجود والعقل)) (Areopagite, 1997, p. 130) .

وفي الانتقال إلى متصوف التالية الأهم، ونقصد به القديس أثناسيوس (ت ٣٧٣م) فهو من قعَّد التصوف في الفكر المسيحي، ودافع عنه بشدَّة، لا بل وحد بينه وبين اللاهوت المسيحي، وجعل لهما غاية واحدة، فهو يرى إنَّ التصوف واللاهوت متحدان بشكل لا ينفصل (إنَّ اللاهوت والتصوف شيء واحد، نعني بالتصوف التجربة الشخصية لما يكشف للجميع، ويدرك في الجميع في سر المسيح، ونعني باللاهوت الوحي المشترك للسر- الذي يجب أن يعيشه الجميع، ينتمي الاثنان معا، لا يوجد لاهوت بدون تصوف، ولا يوجد تصوف

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

بدون لاهوت. للتصـــوف واللاهوت غاية واحدة، وهما يبلغان ذروتهما في أطروحة أو اكتمال الحياة الإلهية في نفوس المؤمنين)) (Fathers, 1975, p. pp 6 13) (Merton, 2008, p. pp60 65).

ويظهر غريغوريوس النيصي- (٣٣٥ ـــ٣٩٤م) بعقيدته الخاصـة في التصـوف (Meginn, 1994) (التمدد الروحي) تمدد الروح أي النمو والرغبة المتزايدين باســتمرار والتغلغل في نور المحيط الذي لا ينضــب، وبما أنه لا حدود للانهائي فحتى في الســماء نســتمر في النمو بطريقة معينة، في الحب والمعرفة، أي أنه رغبة تتحقق باستمرار، دون أن تستنفذ هدفها، وبالتالي تستمر في تقدم لا نهاية له (Merton, 2008, p. 82) , ونلحظ إنَّ عمدَّ إلى تبويب المراحل الأساسية للطريق الصوفي وكالاتي: المرحلة الأولى: التخلي ـــ المرحلة الثانية: التحلي - المرحلة الثالثة: التجلي (حلاق، ٢٠٠١ ، صفحة ٢٨) .

والقديس بونافنتورا (١٢٢١- ١٢٧٤) فهو الآخر يمثل ذروة الوعي الصوفي المسيحي الذي يجمع بين الكشف الوجداني (الإشراقي) وبين العقل، ومن الطبيعي أن يلجأ إلى نظرية (الإشراق الأوغســطينية) التي راقت له , ليس فقط؛ لأن القديس أوغســطين قال بها، وإنما؛ لأنها تؤكد في آن معا اعتماد العقل البشــري على الله، ونشـــاط الله داخل النفس البشــرية، فهي عنده حقيقة إبســتمولوجية وحقيقة دينية في وقت واحد (كوبلستون، ٢٠١٠، صفحة ٣٩٣) ويرى جيلسون (إنَّ التصوف عند بونافنتورا ليس مجرد تأمل عقلي، بل رحلة روحية تبدأ بالتطهير، وتنتهي بخروج النفس عن الذات نحو الله ... إذن فالوعي الصــوفي عنده ليس انفصالا عن الفكر، بل تكاملا بين العقل والقلب، بروحانية واعية تتدرج نحو الاتحاد الإلهي)) (Gilson E. 1965, p. 126 ,) ومن خلال الوعي الصوفي الإشراقي وحده تستطيع الذات أن تعود إلى كينونتها الحقيقية، وتعّيها على نحو صـحيح، وبالتالي تعّي الله فيها. (نصـل إلى الله من خلال أثاره التي تشـرق من خلالها في كل مخلوق، قد أوصـلنا إلى نقطة يمكننا فيها إعادة الدخول إلى أنفســنا، أي إلى أذهاننا حيث تشـرق الصــورة الإلهية)) (Bonaventuer, 2020, p. 21). وأكمل متى الاكواسبرطي (١٢٤٠ ـــ ١٣٠م) السلك الصوفي الفرنسيسكاني، والذي رأى إنَّ نشاط النفس وحده لا يكفي لتفسير المعرفة؛ لأن النور الإلهي مطلوب، فما هو هذا النور الإلهي؟ أنه التقاء مباشر لله مع أعمال العقل البشري، التقاء المساعدة أو العون الذي يتحرك العقل بواسطته ليعرف موضوع المعرفة، فالله يحركنا لكي نعرف الموضوع الذي تستقبله الفطرة الحسية، الحركة هي النور الإلهي، ويرتبط الموضــوع بأســاســه الأزلي الأمثل العقل الأزلي أو الفكرة الإلهية، فالنور الإلهي هو الذي يمكننا من التعرف على هذه العلاقة، إذ تمارس العلل الأزلية موضوعات الأفكار الأزلية على نحو مباشر , ولكنا بالأحرى نعرفها على أنها مبادئ تحرك العقل، الماهية المخلوقة، فليس ثمة مشـكلة إذن في أن نرى كيف يعمل النور الإلهي في داخل جميع البشر-أخيارا أو أشرارا، طالما أنه ليس ثمة مشكلة في رؤية الأفكار الإلهية والماهية الإلهية بما هي كذلك في ذاتها، فالله يشارك في جميع أنشطة الكائنات، إلا إنَّ الذهن البشــري قد خلق على صــورة الله بطريقة خاصــة، والتقاء الله مع نشـــاط الذهن يســـمى بحق نورا)) (كوبلستون، ٢٠١٠، صفحة ٢٠٢) .

أما عن ملامح الوعي الصــوفي عند إيكهارت (١٢٦٠ - ١٣٢٧) فقد ظهرت من خلال دعوته إلى التخلي العام عن الرغبات والإرادة الذاتية، بل وحتى عن تصورات الإنسان لله. يجب أن يتسع القلب لله فحسب، إذ إنَّ

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

ISSN: 1992-1136

التخلي عنده هو فناء داخلي عن كل ما ســوى الكائن الأســمى. وقد تميز موقفه الصــوفي بالجرأة الفكرية والعمق الروحي إلى حد إنَّ بعض آرائه عدة مثار للجدل، ورفضــت من قبل ســلطة محاكم التفتيش (الله بصــفته الخالق حاضر بشــكل مباشر لكل كائن يحافظ عليه في الوجود، وجودهم ليس خارجه في الفراغ، ولكنه منفصــل عن وجوده هو وحده، كل ما يخلقه خارجه هو عدم محض، ولكنه موجود فيه، منفصــلا عنه في الإنسان تكون هذه المباشرة أيضا على مستوى النعمة (Merton, 2008, p. 200) ويدعو إيكهارت إلى (التحرر من الاهتمام بالخارج (خارج النفس) ثم العودة إلى العمق الداخلي النقي حيث تختفي الذات، وتولد الحقيقة الإلهية)) (Meister, 2013, pp. pp 44 - 45) والواقع إنَّ هذا البعد إنما ينبع من مفهوم (ولادة الله في النفس) وهي حالة للذوبان الكلي للذات الإنســانية في الله، والتي تمثل ذروة التحاد الصــوفي في الفلسفة المسيحية الوسيطة.

٣. هيلدغارد بنجين بين النشأة والمنجز الفكري

ولدت هيلدغارد بنجين (Hildegard von Bingen) عام ١٠٩٨م في بيرميرســهايم باي الزي (منطقة بينغن الحالية بألمانيا) وكانت الطفلة العاشرة لوالدين نبيلين. في عام ١١٠ دخلت الفتاة ذات الثمان سنوات ديرا منعزلا بالقرب من دير القديســة ديســبيود المزدهر، لتربيها الناســكة النبيلة جوتا (Silvas, Jutta)) (1998, pp. 46 - 65). ولم يوفر إرشاد جوتا لهيلدغارد التكوين الروحي فحسب، بل وفر لها أيضا تعليما في اللاتينية والموســيقى والكتاب المقدس، هذا الانغماس المبكر في الحياة الرهبانية والتعليم مهد الطريق لمساعي هيلدغارد المستقبلية ككاتبة وملحنة وصاحبة رؤية صوفية (Fox, 2002, p. 7). قرأت اللاتينية، عهدت مواصــلة تعليمها إلى الراهب فولمار من القديســة ديســيبود الذي أصــبح صــديقها الدائم ومؤتمن أسرارها، وعندما توفيت جوتا عام (١١٣٦م) انتخبت الراهبات هيلدغارد خليفة لها. وبعد خمس ســنوات تلقت رئيســة الدير دعوتها النبوية، وبدأت في تأليف كتاب (المعرفة) بمســاعدة وتشــجيع فلومار (Newman, 1987, p. 5)

منذ الطفولة المبكرة قبل وقت طويل من قيامها بمهمتها العامة، أو حتى نذورها الرهبانية تأســس الوعي الروحي لها تأســس الوعي الروحي لها (Newman, 1987, p. 6) فقد شــهدت نوعين من الرؤى الروحية (النور الحي) حيث لا تســتطيع رؤية أي شيء و (ظل النور الحي) حيث كان هناك إشــعاع منتشر(Alvida, 1994, p. 11). إذن فقد اتسمت حياة الصوفية بسلسلة من التجارب الروحية التي بدأت منذ وقت مبكر، ولكنها أصــبحت أكثر وضــوحا في الأربعينيات من عمرها، كانت الرؤى تقوم على حقائق لاهوتية وفلســفية (Fox, 2002, p. 8).

أما عن أهم أعمالها التي قدمتها فيمكننا القول إنَّ هيلدغارد شخصية موسوعية استطاعت تقديم فكرها في العديد من الأعمال وبمختلف المجالات اللاهوتية والصوفية والفلسفة والعلمية والطبية والموسيقية.

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

ISSN: 1992-1136

ألفت كتابها الأول الشهير (اعرف طرق الرب) (Scivias) عام ١١٥١م، بدأت بعد ذلك العمل على موسوعة علمية وطبية رئيسـية: تسـعة كتب عن دقائق أنواع المخلوقات المختلفة، يتضـمن هذا العمل المعروف أيضا كتاب (الطب البسيط) او Physica، كتابا شاملا عن الأعشاب وكتابا عن الحيوانات وكتابا عن الأحجار الكريمة، اسـتكملت هيلدغارد الموسـوعة بكتابها عن الطب المركب، وخلال تلك الفترة واصـلت تأليف الشـعر والموسـيقى، والتي اشـتهرت بها بالفعل بحلول عام ١١٤٥م . وفي عام ١١٥٨م. بدأت المجلد الثاني من ثلاثيتها الرؤيوية كتاب (فضـائل الحياة) الذي اكتمل عام ١١٦٣م، أما المجلد الثالث والأخير عن عمل الله أو (كتاب الأعمال الإلهية) فقد شغلها بين عامي ١١٦٣م ـ ١١٧٣م (Newman, 1987, p. 10).

وترى الباحثة المختصـة بالأدب الديني ودراسـات القديسـات بربارا نيومان (١٩٥٣؟ ((إنَّ أعمال هيلدغارد الرؤيوية - الفنية الغامضـة ظاهرة فريدة من نوعها في رسـائل القرن الثاني عشر، ومع ذلك وفي الوقت ذاته تقدم كتبها خلاصة فكرية لعصرها، ففي كتاب (المعرفة) يكون تركيزها عقائديا، وفي كتاب (الأعمال الإلهية) يكون تركيزها علميا، وفي كتاب (مزايا الحياة) يكون تركيزها أخلاقيا)) (Newman, 1987, p. 15). فضـلا عن ذلك تعدّ هيلدغارد صانعة لعالم مبتكر وغني، تضمن ابتكارها لغتها الخاصة أو (اللسان المجهول) الذي يضم مفردات تتجاوز الألف كلمة، والتي أصبحت بمثابة شـيفرة سرية بين أفراد الكنيسـة (Ross, 2023, Higley, 2008) . (p. 2008) .

والسؤال المهم الآن: كيف استطاعت هيلدغارد أن تكون نموذجا أنثويا لاهوتيا فلسفيا في عصرها؟

عاشت هيلدغارد في القرن الثاني عشر، ومن المعروف جيدا ما يعنيه وضع المرأة في تلك الحقبة الزمنية، إذ ارتبط وجودها وقيمتها بالشر.والخطيئة المطلقة. وبالنسبة لعلماء العصور الوسطى كان الأمر يتعلق بشكل عام بأجساد النساء وعقولهن واعرافهن، ويترتب على ذلك أنه إذا كان من الممكن فقط تمجيد المتواضعين، فإن النساء يتمتعن بميزة متناقضة ـــ على الأقل من الناحية النظرية ـــ ومن الناحية العملية بالطبع نادرا ما كانت هذه الميزة واضـحة لذلك. بالنسـبة لمعجبيها هيلدغارد تجسـيدا حيا لحقيقة بذلت المؤسـسـة الاجتماعية وحتى الدينية قصارى جهدها لقمعها. وقد قبلت وضـع عصرها شـأنها شـأن معاصريها، إذ لم تلمح قط إلى إنَّ لها كامرأة ومسـيحية، أي (حق) في التدريس أو النبوة في الكنيسـة، ولم تدع أو تطالب بالمسـاواة مع الرجال (Newman, 1987, p. 3). لكن مما لا شـك فيه إنَّ الأمر يعود إلى سـببين كما نرى وكالاتي: الأول يكمن في إبداع ما قدمت، والذي يدل على العقلية الفذة لهيلدغارد كونها أكثر المتصـوفين استثنائية في التاريخ الأوربي الوسيط (Fox, 2002, p. 3) وهو الأمر الذي وضح في كتاباتها القيمة في شتى المجالات، مما جعلها نجمة مضيئة في عالم من العتمة.

السبب الثاني يكمن في إنَّ ما جاءت به في فكرها متسـقاً ومنسـجم مع تعاليم وروح عصرها إلى حد كبير وهو الأمر الذي جعل منها مساهمة حقيقية في تطور الوعي الصوفي الفكري في ذلك العصر.

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

ISSN: 1992-1136

فضـلا عن ذلك، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار إنَّ ثمة خصـوصـية اتسـم بها القرن الثاني عشرـ إذ أطلق المؤرخون بنظرة ثاقبة على هذه الفترة من الحماسـة المسـيحية الجديدة والمسـاعي الفكرية والفنية اسـم (نهضـة القرن الثاني عشرـ) وعند النظر إلى هذا العصرـ من بناء الكاتدرائيات والرهبنة الجديدة والصحوات الأولى للإنسـانية، يبدو إنَّ كل جانب من جوانب الحياة كان خاضـعا للإصـلاح والتطور (Maddocks, 2003, p. 34). وعليه، فإن هيلدغارد كانت بالفعل تمثل روح عصرها، فقد عملت جاهدة لإنعاش الجانب الروحي للكنيسـة، وحاربت فسـاد رجال الدين، ودعت الناس إلى التطلع إلى المسـيح وجوهر تعاليمه عوضا عن الكهنوت، وكان هدفها الأهم في مجمل مشرـوعها الفكري، ولا سـيما البعد الصـوفي الرؤيوي منه جعل الطابع الروحي حلا عمليا للواقع ومشكلاته المختلفة.

فضـلا عن ذلك، فقد حاولت تقديم قراءة جديدة إيجابية عن المرأة، تختلف كليا عما كان سـائدا في العصرـ الوسـيط، إذ وضـحت ذلك بربارا نيومان في كتابها (أخت الحكمة): ((بأن هيلدغارد تقاوم كراهية النسـاء في العقيدة الكاثوليكية على سبيل المثال يشير ميلها إلى ربط حواء بالعذراء مريم إلى إنَّ حامل الخطيئة الأصلية يصـبح أيضـا (عامل الفداء) دأبت هيلدغارد على اسـتحضـار ضـعف الأنثى (أنا امرأة ضـئيلة القامة) عبارة متكررة، إلا إنَّ اسـتخفافها بنفسـها ذو حدين، كما تلاحظ نيومان. لأن قوة الله تكتمل في الضـعف، ولأن الأكثر تواضـعا هو الأكثر تمجيدا، فقد يصـبح العجز البشرـي علامة ومقدمة للتمكين الإلهي)) (Ross, 2023, p. 17).

٤. تكوين الوعي الروحي لدى هيلدغارد

برزت هيلدغارد بينجن عبر التاريخ كإحدى أبرز المتصوفات في العصرـ الوسـيط. تشـكل وعيها الصـوفي من خلال مزيج من التجربة الشـخصـية (الرؤى الصـوفية) والبيئة الدينية التي عاشـت فيها وهي بيئة شـديدة الخصوصية والالتزام حيث كانت الأديرة مراكز للحياة الروحية والتعليم الديني والفكري وهو ما شكل مناخا مناسـبا لتشـكل وتطور ذلك الوعي، فضـلا عن ذلك لا بد من الإشـارة إلى إنَّ الفكر المسـيحي بعامة كان يهتم بالرؤى، ويمنحها مكانة مميزة، وهي بما قدمت تكون منسجمة لروح عصرها.

ويطرح السـؤال المهم: كيف أسـهمت هيلدغارد في تطور رؤية صـوفية مميزة تتجاوز حدود زمانها ومكانها؟ بدءا لنتعرف على طبيعة ذلك الوعي، وكيف تشـكل ونبع من رؤاها الصـوفية، حيث وصـفت ذلك الوعي، وتكونه لديها بكل دقة قائلة: (لقد شعرت بهذه القوة الغامضة للرؤى السرية والرائعة في نفسي منذ الطفولة. أي منذ أن كنت في الخامسـة من عمري، حتى الوقت الحاضر، كما هي الآن، لكنني لم أكشـفها لأحد سـوى قلة من زملائي المتدينين الذين اتبعوا نفس أسـلوب الحياة، وفي هذه الأثناء وحتى الوقت الذي أراد فيه الله بنعمته أن تتجلى هذه القوة، تممتها بهدوء وفي صـمت)) (Bingen, 1996, p. 2) ((عندما تجاوزت السبعين من عمري في هذه الرؤية ترتفع روحي كما أراد الله عاليا في قبة السماء. وفي السماء المتغيرة، وتنتشر بين شـعوب مختلفة، وإذا كانت في أماكن بعيدة، ولأنني أراهم بهذه الطريقة في روحي، فإنني ألاحظهم وفقا لتغيرات السـحب والمخلوقات الأخرى، لا أسـمعهم بأذني الخارجية، ولا أدركهم بأفكاري قلبي أو بأي مزيج

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

ISSN: 1992-1136

من حواسي الخمس، بل في روحي وحدها، بينما عيناي الخارجيتان مفتوحتان. لذلك لم أقع فريسة للنشوة في الرؤى)) (Newman, 1987, p. 6) ((وعليه، فإن الضوء الذي أراه لا يشغل حيزا مكانيا، بل هو سحيق وألمع من الغيم الحامل للشمس، ليس بإمكاني قياس ارتفاعه أو طوله أو عرضه. أطلق عليه اسم (انعكاس الضوء الحي) أرى الكتابات والمواعظ والقيم وأفعالا بشرية محددة، وهي تأخذ شكلا متألقا بالنسبة لي، وذلك مع ظهور الشمس والقمر والنجوم والمياه)) (Shawn, 1998, p. 96). أصبح غير المرئي مرئيا للروح الداخلية، العالم الذي تراه رمزي لا يظهر أمامها مثل الجنة أو الجحيم لتدخلها وتتغذى منها، ولكن من أجل الإرشاد والتوجيه (Weeks, 1993, p. 41) ؛ لأن الصوت الإلهي الذي يرّن هو صوت هادف تماما يأمرها أن تعلن كيف يدخل المرء في الاستعادة النهائية لكل الأشياء , يجب إرشاد الناس حول الإحساس الداخلي بالكتب المقدسة، والذي على الرغم من أنه معروف لا يُنْشَر بشكل كافٍ، إنَّ الإصرار الجليل للصوت الإلهي بدعوته إلى الاستيقاظ والتحدث بصوت عالٍ واستحضاره الشامل للحالة النهائية للعالم والمعنى الداخلي للكتاب المقدس (Weeks, 1993, p. 49) . وتستمر الصوفية المسيحية في وصفها لرؤياها بشكل دقيق قائلة: (كل ما رأيته وتعلمته في هذه الرؤية يبقى في ذاكرتي لفترة طويلة بحيث عندما أراه وأسمعه أتذكره واعرفه دفعة واحدة، وكأنني في لحظة أتعلم ما أعرفه، لكن ما لا أراه لا أعرفه. فضلا عن ذلك، لا أستطيع تمييز شكل ها الضوء أكثر مما أستطيع النظر مباشرة إلى كرة الشمس أحيانا . ولكن ليس أكثر . أرى داخل هذا الضوء، ضوءا آخر اسمه (النور الحي) ولا أستطيع وصفه، ومتى وكيف أراه؟، ولكن حينما أراه يرحل عني كل الحزن والألم)) (Newman, 1987, p. 7).

ومن الجدير بالذكر، إنَّ الرؤى تنقل استحالة فهم الإلهي، وأنها تعطي إحساسا بما يتجاوز العقلانية البشرية والسبب في ذلك هو الانفصال بين الجزء المجازي (المرئي) من الرؤية وتفسيرها التفسيري من خلال الصوت الإلهي، لتفسير قريب جدا من المجاز، حيث يعالج كل عنصر من عناصره على التوالي، من الواضح إنَّ العناصر التي نجدها في الرؤية تُحَدَّد من خلال الدور الذي تلعبه لاحقا في التفسير والنتيجة هي الرؤية كمزيج من عناصره متباينة تماما، الرؤى التي يسافر فيها الناس إلى الآخرة، جميعها إلى الوضوح، التواصل بين غير المرئي والمرئي، الهدف من الرؤية هو إيصال رسالة هذه الفكرة الكامنة وراء الفكر الرؤيوي الذي عرفته هيلدغارد (Wouters, 2024, p. 85) . إذن هي تجربة روحية ذاتية تتضمن مصدرا معرفيا (يُعَبَّر عنه بشكل رمزي مجازي) لمجالات عدّة كما سنرى ذلك.

وقد حملت هذه الرؤى صورا رمزية ورسائل عميقة تحدثت عن الحالة الروحية والأخلاقية للبشرية، وطبيعة الخلق وقدرة الله المطلقة، إذ تضمن كتابها الأهم (أعرف طرق الري) ٢٦ تجربة رؤيوية، موصوفة بتفاصيل معقدة، ومرفقة برسوم توضيحية مجازية، عُبِّر عن كل رؤية بدقة، وتم تفسيرها ضمن الإطار اللاهوتي آنذاك (Fox, 2002, p. 10). وهذا يدل على حقيقة مفادها إنَّ التجارب الصوفية تتسم بعمقها وكثافتها، والتي غالبا ما يكون من الصعب نقلها أو فهمها بالكامل من خلال الوسائل التقليدية، يكمن في قلب هذه التجارب تحول يغير إدراك الفرد وفهمه للواقع، وإحدى الخصائص الرئيسية للتجارب الصوفية هي عدم قدرتها على الوصف، يؤكد الصوفيون مرارا وتكرارا، وإنَّ هذه التجارب تتجاوز قدرة اللغة على الوصف، إنَّ الأحاسيس والرؤى التي يواجهها المرء خلال الحالات الصوفية فريدة وعميقة لدرجة أنها

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

تتجنب التعبير اللفظي الدقيق، غالبا ما يؤدي هذا عدم القدرة على الوصف إلى أوصاف مليئة بالاستعارات والشـــعر واللغة الرمزية، إذ تســـعى التجارب الصـــوفية إلى توصـــيل تجربة لا يمكن وصـــفها بطبيعتها (Underhill, 1912, p. 16) .

وفي تحليل الوعي الصـوفي نجد ضرورة طرح التسـاؤل الآتي: ما المعيار الذي يمكن اعتماده في تصـنيف رؤى هيلدغارد بوصـفها الأسـاس الذي ارتكز عليه تشـكيل وعيها الصـوفي؟ وهل امتلكت حقا مذهبا صـوفيا متكاملا أسهم في تطور التصوف المسيحي؟

يمكن تصـنيف رؤى هيلدغارد بكونها اللبنة الأسـاسـية لمجمل مشـروعها الصـوفي، وفي ثلاثة معايير رئيسية:

١. تكرار الرموز في رؤاها وهو يدل على مركزية الرؤية في تشكيل وعيها الصوفي.
٢ـــ التأثر الروحي فعند قراءة الرؤى نلمس مدى البعد الروحي في كل رؤية، فضـلا عن امتداد حضـورها على مدى حياة هيلدغارد من الطفولة إلى الكهولة.
٣ـــ الرمزية الصـــوفية اللاهوتية، إذ تضـــمنت جميع الرؤى الكثير من الرموز اللاهوتية المســـيحية، وفي موضـــوعات تخص الله والعالم والإنســـان وعلاقته بكل من حوله، وقد طرحت بطابع معرفي رؤيوي كون الوعي الصوفي لديها.

وللإجابة عن الشـق الثاني من السـؤال نقول: اختلف الباحثون والمختصـون في الدراسـات الصـوفية حول مذهب هيلدغارد الصـوفي، فعلى الرغم من أنها تعدّ - وعلى نطاق واسـع ـــ صـوفية، إلا إنَّ بعض علماء التصـوف ذهبوا إلى إنَّ من الأفضـل اسـتبعادها من الأدب الصـوفي، واحد معايير ذلك هو افتقارها التأثير في تطور التصـوف (Wouters, 2024, p. 83) . يقول برنارد ماكجين (١٩٣٧- ؟) : ((إنَّ الأمر لا يتعلق كثيرا باســـتخدام فئة (الرؤية) في حد ذاتها، بقدر ما يتعلق بالطريقة التي ترتبط بها رؤية الله بأنماط التعبير عن الشـــعور (بالعظمة الإلهية) التي تمكننا من التمييز بين المؤلفين اللذين يجب اعتبارهم (صـــوفيين) وأولئك الذين لا يعتبرون صـوفيين، المتصـوفون هم أولئك الذين يتحدثون عن تجربتهم مع الحضـور المباشر لله. تعدّ مر المتصـــوفة بمثل هذه التجارب وكتبوا عنها، وعلموا الآخرين كيفية تحقيق الهدف ذاته. أخيرا بمثل هذه التجارب على أساس هذا التمييز، يستبعد ماكجين رؤى هيلدغارد باعتبارها صوفية، لأن على الرغم من أنها تقدم تفسـيرات لتصـورات مباشرة عن الواقع الإلهي، إلا إنَّ كتاباتها نفسـها لا تركز على كيفية وصـول المؤمنين إلى الوعي المباشر لله، في هذا الأمر وتأثرهم به في هذه الحياة (Wouters, 2024, p. 83). وعلى الرغم من إنَّ ماكجين يقرّ بأن هيلدغارد تشـير إلى تجارب يصـعب عدم تصـنيفها على أنها (صـوفية) إلا أنه يجادل بأن النقطة الحاسمة هي أنها لا تكتب عنها، أي يمكن القول ربما كان لديها تجربة اتصال مع الإلهي، لكن رؤاها ليسـت صـوفية بأي تعريف، أنها لا تهدف إلى تمثيل تلك التجربة (Wouters, 2024, p. 84) (Bernard, 1937)).

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

لكن للباحثة ديانا ووترس رأياً آخر توضــحه بقولها: (إنَّ الخط الفاصــل بين التجربة الصــوفية والكتابة في كتب الرؤى ليس من السهل رسمه كما يبدو عندما تذكر هيلدغارد شعورها بالاتصال بالله في سياق التميز بين العديد من التجارب الرؤيوية وغير الرؤيوية، فإنها تفعل ذلك كمقدمة لكتبها الرؤيوية، فهي تقدم تجربتها الخاصــة كشرط تمكين لهذه الكتابات، على الرغم من أنها تنظر بالفعل إلى أنبياء الكتاب المقدس كأمثلة، إلا أنها أول كاتبة من العصور الوسطى تقدم سردا موسعا لتجربتها الرؤيوية، وهي سمة غير كتابية بالتأكيد، وفي هذا الصدد فقط يمكن النظر إلى هيلدغارد من منظور تطور التصوف)) (Wouters, 2024, p. 84).

ربما يجوز لنا القول هنا، إنَّ المفكر هو ابن عصره، أو هو مرآة لما يدور في عصره، وهو ما أشار إليه من قبل الفيلسوف هيجل (١٧٧٠ــ١٨٣١) ((إنَّ الفلسفة عصرها ملخصا في الفكر)) (هيجل، ١٩٩٦، صفحة ٨٨). وهو ما نود أن نشــير إليه، مما لا شــك فيه إذا ما تم تناول الرؤى التي كتبتها هيلدغارد بمعزل عن الســياق الزمني في ذلك العصر والبيئة الدينية الخاصة التي شكلت فكرها، لربما نقع في تناقض عقلي وبالتالي لا يمكن الحديث عن أي نوع من أنواع التطور الفكري. وعلى العكس تماما إذا ما وضعت نصوصها ضمن سياقها التاريخي ووفقا لروح ذلك العصر، نكون أمام نصوص صوفية بالغة الأهمية، اتسمت بقيمة معرفية وروحية عميقة، وشــهدت تطورا مهما عبر انتقالاتها المتعددة بين الرؤيا والتأمل، وبين التجربة الذاتية والواقع الموضــوعي. لقد اســتطاعت بقدرتها العقلية الفذّة وبمنهجها الروحي أن تنتقل بتلك الرؤى من حدود التجربة الفردية الخاصة إلى فضاء الواقع الإنساني. فجاءت نصوصها معالجة لمجمل المشكلات اللاهوتية والفلسفية التي كانت تشغل الفكر المسيحي آنذاك. فهي لم تكن مجرد ناقلة لرؤى صوفية فحسب، بل كانت مؤثرة ومساهمة في تشكيل وعي لاهوتي وصوفي جديد يسعى إلى إعادة فهم العلاقة بين الإنسان والعالم والله.

وبالنظر إلى ما قدمت، يمكن الإشارة بلا تردد أنها أسهمت بحق في تطور التصوف داخل المنظومة الفكرية المسيحية، حيث أضافت إلى التراث الصوفي بعدا جديدا يمزج بين الرؤيا الوجودية النظرية وشتى الجوانب العملية والفنية في العالم.

٥. تجليات الوعي الروحي

١. التجليّ الوجودي

((رأيت نورا حيا لا يقاس، ولا منتهى له، وكان كل ما رأيت فيه مملوءا بالحياة، وكل شيء فيه يتكلم بصــوت صــامت)) (Bingen, 1990, p. 60) يمكن الانطلاق من هذا النص لكي ندرس التجلي الوجودي للوعي الصــوفي عند هيلدغارد، والذي يوضــح بنية ذلك الوعي لديها، حيث يصــبح الإنســان مرآة للوجود الإلهي، ويتجلى فيه الله. لا كموضــوع منفصــل، بل كحضــور داخلي، يعيد تشــكيل الذات ووعيها؛ وبهذا فإن الوعي

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

الصوفي لديها يقترب مما تحدث عنه هايدجر (١٨٨٩ـ١٩٧٦) لاحقا بـ(انفتاح الكينونة) (هايدجر، ٢٠١٢، صفحة ٣٧٠ . ٣٧١).

ترى هيلدغارد إنَّ الوعي الصـوفي بتجليه الوجودي، يحقق نوعا من الاتحاد بالعالم، لا انفصـالا عنه، فهي لا تحســب العالم مادة فاســدة، بل كائن حيّ يتنفس من روح الله، والوعي الصــوفي هو الذي يرى العمق الوجودي (حيث رأيت نور الله في روحي، سـمعت الأشـجار تنشـد، والنجوم ترقص، وكل الخليقة كانت كأنها تســبح معي، عندها فهمت أني لا أعيش منفصــلة، بل منغرســة، في جســد الخلق الإلهي)) (Bingen, Illuminations, 2000, p. 47). هذا الاندماج الكوني يجعل التجلي عندها ليس مجرد لحظة خاصــة (رؤية) بل تحقيقا كونيا للذات في الحياة الإلهية. (بما إنَّ الله عاقل، فكيف يمكن ألا يعمل بنشــاط، بما إنَّ كلَّ عمل له يزدهر من خلال البشرـية، التي خلقها على صــورته ومثاله، والتي فيها حدود جميع المخلوقات وفقا لمقاييسها. لأنه كان محددا دائما منذ الأزل إنَّ الله يريد أن يأتي عمله ــ البشرية ــ إلى الوجود، وعندما أكمل هذا العمل أعطى لهم كل الخليقة حتى يتمكنوا من القيام بعملهم بها)) (Bingen S. H., 2018, p. 35)

والسؤال الأهم الآن: كيف قرأت هيلدغارد العلاقة الوجودية بين الله الخالق والإنسان المخلوق؟

قدمت هيلدغارد فلسـفتها الخاصـة حول فهم طبيعة العلاقة الوجودية بين الله والإنسـان من خلال مفهوم خضرـة الحياة Viriditas)) والذي يعد من أكثر المفاهيم أصـالة في كتاباتها، إذ يمثل تعبيرا رمزيا وروحيا عن الحضـور الإلهي في العالم، وتدفق الحياة في كل كائن حي، وهي ترى إنَّ هذه القوة الخضـراء تسـري في الجسـد والروح والطبيعة، وتشكل الرابط بين الإنسان والخالق، بين الأرض والسماء. وتكتب قائلة: (كما إنَّ الأرض لا تثمر بدون الرطوبة، كذلك الروح لا تثمر بدون خضرـة الحياة، تلك القوة التي يسـكبها الله في القلب لتزدهر الحياة فيه)) (Bingen, 1990, p. 215). وبذلك تعد Viriditas) تجلّ وجودي للحياة الإلهية، حيث يتجســد اللاهوت في الطبيعة لأعلى نحو، بل كقوة تؤدي بالكائنات إلى الاكتمال، وهكذا وبوعي صــوفي خالص، لا تفهم الطبيعة بوصــفها مادة محايدة أو دنيوية فحســب، بل كجســد روحي نابض، فيه تجلي حضـور الخالق، وهذا الحضـور الإلهي يظهر في مبدأ (الخضرـة) أي الطاقة التي تُحيي وتجدد، وفي السـياق ذاته نجدها تقول: (الإنســان يكون منفتحا على الروح، يكون ممتلئا بالخضرــة... وعندما ينقطع عن الله، يذبل كما تذبل شجرة جافة)) (Bingen, 1987, p. 113) .

هـذه الخضرــة هي مبدأ روحي وجودي، يعني الانفتاح والتوازن مع الطبيعـة على نور الله، لـذا فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بوعي هيلدغارد الصـوفي، بمعنى آخر يمكننا القول إنه مبدأ وجودي يشـير إلى العلاقة التكوينية بين الله والإنسـان. ومبدأ بيئي روحي، حيث هو امتداد حضـور الوجود الإلهي، فضـلا عن إنَّ له بعدا علاجيا، إذ كانت تؤمن بأن التوازن الجسـدي والنفسي يتحقق من خلال إعادة الاتصال بهذه (القوة الخضـراء) لذلك كان لنظريتها تلك حضورا مهما في مجال الطب والعلاج الذي كانت تمارسه آنذاك.

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

وقد عبرت عنه في أناشيدها قائلة:

يا خضرة الحياة يا نفاس السماء ... تتدفقين في العروق كما يتدفق النور في السماء

أنت في الشجرة، في الماء، في النفس ... روح الله التي تحييّ كل شيء (Armonie, 1998, p. 142)

وبذلك تكون هيلدغارد قدمت (الخضرة)) بصورة صوفية للجمال والإبداع الكوني، وهي تجلّ أنطولوجي إلهي يذكر الإنسان بأن الروح لا تزدهر إلا إذا تفاعلت مع الحياة في بعدها الروحي الإلهي.

٢.التجلي المعرفي

لا يمكن فهم التجربة الصوفية لهيلدغارد إلا إذا وضحنا مدى عمق التجلي المعرفي فيها، فقد شكلت رؤاها الصوفية مصدرا معرفيا لا ينفصل عن تجربتها الروحية، فالتجلي المعرفي للوعي الصوفي يتضمن انكشافا معرفيا يكسبها رؤى تتجاوز الإدراك الحسيـ والعقلي التقليدي، الأمر الذي يجعلها من أهم المفكرين الصوفيين الذين استندوا إلى المعرفة الحقة التي تأتي من التجلي والكشف الإلهي.

لقد وصفت وعيها الصوفي بأنه وليد رؤى (مضيئة) ناتجة عن نور كشفي داخلي لا خارجي، ما يؤكد إنَّ مصدر المعرفة عندها إلهي صرف، وأن العقل لا يعمل بمعزل عن هذا النور، بل يكون متلقيا له ومتفاعلا معه بإيجابية عالية، وعليه فإن الوعي الصوفي المعرفي لديها يقوم على إدراك الحقائق الكونية واللاهوتية بوصفها إشراقا داخليا يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة. وقد فصلت ذلك في رؤيتها الأولى التي كتبتها في (Scivias) ((يا أيها الإنسان يا من أنت تراب هش من الأرض ورماد من رماد، اصرخ وتحدث عن الخلاص الخالص متى يعلم هؤلاء الناس الذين، على الرغم من أنهم يرون أعمق محتويات الكتب المقدسة لا يرغبون في أخبارها أو الوعظ بها، لأنهم فاترون وبطيئون في خدمة عدالة الله. افتح لهم سجّان الأسرار التي يخفوها بخجلهم في حقل خفي، وغير مثمر، انفجر في ينبوع الوفرة وأفيض بالمعرفة الصوفية...؛ لأنك لا تتلق بصيرتك العميقة من البشر، بل من القاضي السامي والعظيم في الأعالي حيث سيشرق هذا الهدوء بقوة بنور مجيد من النورين)) (Bingen, Scivias, 1990, p. 7). إنَّ ذلك التجلي ليس تجربة فردية فحسب، بل هو معرفة كيفية تحتاج إلى التبليغ لجميع البشر كونها تمثل قناة للعلم الإلهي، وقد وضحت ذلك بقولها: (رأيت نورا عظيما ينير عقلي، ليس بنور خارجي، بل داخلي يسقيني معرفة الإله بلا تعلم بشري)) (Bingen, 1990, p. 59) وتؤكد في كتابها (الأعمال الإلهية) ((إنَّ الرؤية الصوفية ليست فقط عاطفية أو وجدانية، بل هي (بنية معرفية) تحتوي على نظم رمزية معقدة، وأبعاد عقلية عميقة، تعكس رؤية لاهوتية للعالم، حيث يتداخل البشري والإلهي في خطاب رمزي متعالٍ)) (Bingen, 1987, pp. 12 - 13) .

والسؤال الآن: كيف عبرت هيلدغارد في رؤاها عن ذلك التجلي المعرفي الصوفي؟

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

إنَّ التجلي المعرفي للوعي الصـوفي عند هيلدغارد يتمثل في اسـتخدام الرموز الكونية، والمفردات اللاهوتية، واللغة الاسـتعارية التي كتبت بها رؤاها، والتي تعكس إدراكا عميقا للوجود والإنسـان وعلاقته به، وقد أشـار الباحث برنارد ماكجين إلى ذلك بقوله: ((إنَّ هيلدغارد مزجت بين المعرفة النبوية والمعرفة الصـــوفية بطريقة جعلتها مؤسـسـة لنسـق معرفي لاهوتي خاص بها)) (Meginn, 1994, p. 319). وكانت الرسـوم والزخارف الخاصـة التي أرفقتها في كتاباتها لا سـيما (Scivias), مليئة بالرموز الكونية مثل الجبل المضيء والدوائر النارية والمرأة الكونية وشـــجرة الحياة ... الخ تحمل دلالات معرفية تهدف إلى الربط بين العلوي والسـفلي، بين المقدس واللا مقدس. وعليه فإن ((الرمزية في رؤى هيلدغارد ليست زخرفا، بل جزء جوهري من بنيتها المعرفية اللاهوتية، تترجم من خلالها حقائق لا يمكن للعقل المجرد أن يدركها)) (Newman, 1987, p. 115).

فضـلا عن ذلك، لا بد من الإشـارة لما للموسـيقى من أهمية جوهرية في التجلي المعرفي، فهي تعد وسـيلة روحية ملموســة لتحقيقه، لا بل تفوق الكلمات في ذلك. وفي هذا الســياق يرى الباحث بيتر درونك ((إنَّ الموسـيقى لدى هيلدغارد كانت بحد ذاتها وحيا، إن لم تكن أعلى من الكلمات، فهي موازية لها في التعبير عن المعرفة الإلهية)) (Dronke, 1984, p. 158).

٣.التجلي القيمي (الأخلاقي)

يعد التجلي القيمي (الأخلاقي) بعدا مركزيا في التصـــوف الهيلدغاردي، حيث لا يمكن فهم الوعي الصـــوفي عندها بوصفه انفصالا عن العالم أو انغماسا في التأمل الروحي، بل هو مسار قيمي عملي الهدف منه إصلاح النفس والعالم معا، فالتصـوف عندها ليس غاية في ذاته، بل هو طريق نحو الخير، والعدل والنقاء الداخلي، والانضباط الأخلاقي، وهو بذلك يمثل تطبيقا عمليا لما جاءت به تعاليم الدين المسيحي في جوهره الأصيل. وترى هيلدغارد إنَّ كلَّ تجربة روحية لا تثمر خلقا صـــالحا، ووعيا أخلاقيا، هي تجربة ناقصـــة ذلك إنَّ ((الفضائل تهب النفس ثباتا، وتقيمها على الحق، كما إنَّ الشمس تغيم الأرض على الضوء، فكل من يسير في طريق الله لا بد أن يتحمل نور الفضـــيلة في قلبه)) (Bingen, 1990, p. 84). وهنا ندرك إنَّ ما يربط التصـوف والفضـيلة ليس شـيئا عابرا، بل علاقة تأسـيسـية، الوعي الصـوفي هو الجذر والأخلاق الحسـنة هي الثمرة.

أكدت متصـوفة العصر الوسـيط ذلك بنصـوص عديدة من كتاباتها وتحديدا (Scivias) بقولها: (إنَّ العديد من الفضـائل القوية للغاية تنبثق من الله القدير متوهجة بالنار في المجد الإلهي، وهذه الفضـائل تحتضـن بشـــدة، وتأسر أولئك الذين يخافون الله، ويحبون فقر الروح بإخلاص، ويحيطونه بمســـاعدته وحمايته)) (Bingen, 1990, p. 68). ((إنَّ أرواح اللذين يعتنقون طريق الاسـتقامة بمودّة نقّية يسـاعدها المسـاعد السـماوي، بحيث لا يكسر هم عذاب الهلاك بسـبب الأعمال الصـالحة التي يعون بها في ذروة العدالة إلى السماء، لأن النور الحقيقي يقويهم في خوف الله ومحبته)) (Bingen, 1990, p. 80).

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

مجلّـــة الفلـسفـــــة
٢٠٢٦ العـــــدد (٣٣)
الجـــامعة المستنصريــة

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

وهي تجعل من الفضائل الأخلاقية نقطة الالتقاء بين العمل الإلهي والعمل الإنساني في قراءة ميتا أخلاقية إذ تقول: ((جميع المؤمنين الذين يتبعون شريعة الله، يدفعون أنفسـهم من الصـلاح إلى الأفضـل، ...، تبذل الفضـائل جهدا كبيرا لإتمام العمل؛ لأنها تبذل جهدا كبيرا للجري كالمياه المتدفقة نحو العمل الإلهي)) (Bingen, 1996, p. 25). وفي قلب التجلي القيمي للوعي الصوفي لديها نجد (الحب الإلهي Cartas) وهو ليس فقط محبة لله، بل حجة موجهة إلى الآخرين أيضا، بعدّهم صورة من صور الله، فكل تصوف لا يترجم إلى حب للآخر، وعمل من أجل العدالة، هو تصـوف أناني، وليس له جدوى (الذي يعرف الله، يعرف المحبة، ومن لا يرحم لم يلمس قلبه نور السـماء)) (Bingen, 2001, p. 45). تعود هذه الرؤية الصـوفية في أصلها إلى الموقف الصـوفي الأوغسـطيني الذي اتسـم بالتواضـع والمحبة (Merton, 2008, p. 163). وهما من أعمق القيم في تعاليم المسيحية، بل هما ركيزتان أساسيتان فيه، ويمثلان جوهر التعاليم الأخلاقية في الكتاب المقدس (إنَّ كنت أتكلم بالسنة الناس والملائكة، ولكن ليس لي محبة، فقد صرت نحاسا يطن أو ضجا يرّن ... المحبة تتأنى وترفق، المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر، ولا تنتفخ ... المحبة لا تسقط أبدا)) (الرسالة الاولى الى كورنثوس، الصفحات ٨-١٣:١) .

((التواضـع والمحبة أكثر إشراقا من الفضـائل الأخرى للروح والجسـد كيف؟ التواضـع يشـبه الروح والمحبة تشبه الجسد، ولا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، بل يعملان معا طالما إنَّ الشخص يعيش في الجسد، وكما تخضـع أعضـاء الجسـد المختلفة وفقا لقواها للروح والجسـد، كذلك تتعاون الفضـائل الأخرى وفقا لعدلها مع التواضع والمحبة. أيها البشر من أجل مجد الله وخلاصكم اسعوا إلى التواضع والمحبة، مسلحين بهما)) (Bingen, 1990, p. 90).

يحيلنا نص هيلدغارد أعلاه إلى تسـليط الضـوء على جانب في غاية الأهمية من فكرها، فبعكس معظم التيارات الصـوفية التي تهمش (الجسـد) أو تعتبره عائقا لانطلاق الروح، فإنها ترى في الجسـد أداة أخلاقية وروحية يمكن أن يكون موضع طهر أو موضع انحراف، بحسب السلوك الذي يختاره الإنسان، الجسد كما تراه ليس عدوا للروح، بل شريكا في الفضـيلة. في رؤاها يظهر الجسـد غالبا ككائن مشرـق أو مظلم بحسـب أفعاله: ((الروح والجسـد متشـابكان، فإذا صـفت الأولى نُقيّ الثاني، وإذا خُبثت النفس تكدر الجسـد معها)) (Bingen, 1990, p. 143) . وهي بذلك تقدم قراءة جديدة ذات موقف مغاير لما كان سـائدا في عصرـها أيضا، إذ ارتبط الجسد ونوازعه بالخطيئة والإثم.

٤. التجلي الفني (الموسيقى)

شـكلت الموسـيقى في العصـور الوسـطى أحد أبرز عناصر التعبير الفني والديني، إذ أدت دورا مهما في الحياة الروحية والدينية والثقافية للمجتمع إبانَّ ذلك العصرـ ويذهب الباحث ريتشـارد هيدن إلى ((أنَّ الموسـيقى في العصر الوسيط كانت تمثل وسيلة للوصول إلى الله قبل أن تكون مجالا فنيا مستقلا، حيث ساد الاعتقاد بأن النظام الموسـيقي يعكس النظام الإلهي في الكون)) (Hoppin, 1978, p. 23). حيث كانت الموسـيقى في الأديرة والكنائس أداة لتطهير النفس والارتقاء بها نحو الله، وليس مجرد طقس جمالي. وقد كان الرهبان

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

يتعلمون النصوص المقدسة من خلال الألحان؛ لأن اللحن يرسخ في الذاكرة، ويعزز الفهم الروحي (Craig, 2006, p. 42). وبذلك تجاوزت الموسـيقى وظيفتها الجمالية لتصـبح قناة مباشرة نحو إدراك المقدس والتقرب إليه.

وفي هذا السياق جاءت هيلدغارد لتشكل بعدا روحيا متميزا للموسيقى بعدّها تجليا خاصا للوعي الصوفي، إذ امتزجت الرؤية الصـوفية بالعمل الموسـيقي، في محاولة لإنتاج موسـيقى تتجاوز المجال الفني فحسـب إلى التجلي الروحي والمعرفي. تحتل الموسـيقى عندها جانبا تأسـيسـيا في تشـكل الوعي الصـوفي، إذ لم تكن الموسيقى وفقا لها مجرد وسـيلة فنية وجزءا من ثقافة المجتمع، بل كانت لغة مقدسـة وتجليا روحيا يمكن من خلاله إدراك الوجود، بل كانت لغة مقدســة وتجليا روحيا يمكن من خلاله إدراك الوجود الإلهي في العالم، فقد ذهبت إلى إنَّ الموسيقى تعكس انسجام الكون الذي أبدعه الله، وكانت تعتقد إنَّ النغمات قادرة على إعادة الإنسـان إلى فطرته الأصـيلة وطهارته الروحية (White, 1998, pp. 6-16). اعتقدت هيلدغارد إنَّ الإنسـان قبل السـقوط كان يعبد الله بالأغاني السـماوية، وبعد السـقوط قرب من الموسـيقى كما سـمعها البشر ـ وفهموها، فكانت الموسيقى إذا خير تعبير عن حب الإنسـان لله وإخلاصه وعبادته (Mark, 2019). ((إنَّ أسلوب الصوت المثالي بالنسـبة لهيلدغارد هو الموسـيقى، التناغم السـماوي، ونبض البلاط السـماوي وتسـبيحاته، (لسـان آدم قبل السـقوط) والنسـيج التأسـيسي ـ لحياة هيلدغارد)) (Newman, 1987, p. 9) وأكدت ذلك في قولها: ((إنَّ الإنشاد المقدس هو صوت الجنة، وهو صدى النغمة التي خلق الله بها العالم)) (Bingen, 1990, p. 150). إذن فالموسيقى هي إعادة لصوت الله في هذا الكون، ولهذا فإن مجمل ألحانها محاكاة لهذا الصوت الإلهي، بما تحمله من البعد الروحي والجمالي. فالله خلق الفن من أجل معرفته وتكريم اسـمه، ولم يظهر فيه فقط الأشـياء المرئية والزمنية، بل أيضـا الأشـياء غير المرئية والأبدية (Weeks, 1993, p. 48). ((إنَّما في الطريق الذي تدفقت من خلاله النعمة الإلهية من البلاط السـماوي وسـمفونيته إلى عالمها، مضادة ومرافقة من قبل الحشـد الملائكي لذلك انضـموا إليه بهذه الطريقة، تسـابيح لا تسـتطيع المعرفة البشرـية تفسـيرها أبدا)) (Bingen S. H., 2018, p. 10). وهي بذلك أعطت للموسـيقى بعدا ميتافيزيقيا.

يكمن تفسيرها لكلمة الأبدية، برؤيتها المنظمة ووعيها الصوفي العالي، وهو مفهوم عن موسيقية كل الخليقة والعقل، وقد أبرزته لغتها اللاتينية بشكل كبير، عندما دوت كلمة الله ظهرت الكلمة في كل مخلوق، وكان هذا الصـوت هو الحياة في الحياة في كل مخلوق، وبالتالي من الكلمة نفسـها يحدث العقل البشري أعماله، ومن هذا الرنين أو النداء صـوت الفناء نفسـه ينتج أعماله، كما هو الحال في المخلوق، حيث يصـدر صـوتا مدويا للقيثارة والطبول، من خلال امتلاكه حســن المواهب الفنية. لأنه حين انطلقت كلمة الله ظهرت نفس الكلمة في كل خليقة، وكان نفس الصـــوت هو حياة في كل خليقة. ومن هنا أيضـــا من نفس الكلمة تعمل عقلانية الإنسـان، أعمالها من نفس الصـوت تنطق بأعمالها بالرنين والصرـاخ والفناء، لأنها من خلال وحدة منها تجعل القيثارات والطبول تدق المخلوقات)) (Weeks, 1993, p. 55).

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Journal of philosophy
2026, No(33)
Mustansiriyah University

ISSN: 1992-1136

والآن نطرح السـؤال المهم: كيف يمكن فهم العلاقة بين الموسـيقى الروحية والفضـائل الإنسـانية عند هيلدغارد؟

الحقيقة إنَّ التجلي الصـوفي للموسـيقى امتد ليلمس الفضـائل الإنسـانية حتى يرقى بها إلى أعلى مراحلها الروحية، إذ تعد أوبرا (Ordro Uirtutum) التي كتبتها هيلدغارد إحدى أقدم الأعمال الموسـيقية التي تجمع بين الفن المسرحي والرؤية الصوفية، ففي هذا العمل تستخدم الموسيقى كأداة روحية لتجسيد الصراع بين الفضـائل والرذائل، وتبرز فيه القدرة العلاجية للموسـيقى كقوة روحية تعيد التوازن إلى النفس البشرية (Newman, 1987, p. 102).

بناءً على ما تقدم، يمكن القول إنَّ هيلدغارد أسـهمت من خلال موسـيقاها في تجديد وتطور الوعي الصـوفي داخل الفكر المسـيحي الوسـيط، إذ تجاوزت الحدود التقليدية للطقوس الدينية، وقدمت رؤية موسـيقية قادرة على الارتقاء بالنفس البشرية من خلال الفضـائل القيمّة وربطها بالمقدس. وبذلك فإنها تشـكل كيانا متميزا كإحدى أعظم الملحنين الأوائل في العصور الوسطى.

وسؤالنا الأخير الذي نختم به دراستنا هذه: هل للتصوف أهمية اليوم في واقعنا المعاصر؟

الحقيقة إنَّ التصـوف في جوهره إنما تسـامي للروح عن طريق الالتزام بالقيم الأخلاقية العليا، وهو ما يبقى الإنسـان بحاجة ماسـة له طال ما وجد في هذا العالم، وبذلك (فإنَّ التصـوف له أهمية حيوية، حيث يقدم رؤى وتطبيقات عميقة، يعمل كجسر بين القديم والمعاصر، ويرسخ الوعي الروحي في عالم يتجاوز الزمن ... فهو يوفر أدوات قيمة لمعالجة التحديات الوجودية الحادة على نحو خاص في العالم الحديث، قضـايا مثل الاغتراب والبحث عن المعنى في عالم يبدو غير مبالٍ، والسعي إلى السلام الداخلي وسط الفوضى الخارجية، تجد حلا في الممارسات الاستيطانية والتحولات الصوفية، إذ تشجع المبادئ الصوفية على التأمل الداخلي، وتعمّق الوعي الذاتي، مما يعزز المرونة والشـعور بالترابط الذي يوازن تشـظي الذات، والذي غالبا ما نشـهده في الحياة المعاصرة)) (Underhill, 1912, p. 26).

الخاتمة:

في ختام بحثنا الذي جاء بعنوان (الوعي الروحي في الفلسفة المسيحية الوسيطة ــ دراسة في فكر هيلدغارد بينجن) توصلنا إلى النتائج الآتية:

١ــ الوعي الروحي أحد أنواع النشاط العقلي، وقد صاحب وجود الإنسان في هذا العالم، ورغم إنَّ مصطلح تصوف لم ينحتّ على نحو متكامل في الفلسفة المسيحية، إلا أنَّه كان حاضرا فيها وبقوة، كأحد أهم العناصر التي كونت نسـيج الفكر المسـيحي في العصر الوسـيط، وتطور على يد فلاسـفته وشـكل التصـوف الأنثوي الجزء الأهم منه كما أثبتت الدراسة.

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

ISSN: 1992-1136

٢ـ يؤشر البحث أنَّ هيلدغارد تعد نموذجا فريدا للتصوف الأنثوي، في عصر كان يرى في المرأة رمزا للخطيئة والشر، إلا أنها استطاعت من خلال كتاباتها التي شملت معظم الموضوعات الفلسفية الأساسية أن ترفد الفكر المسيحي بفلسفة صوفية ذات طابع تجديدي أسهمت في إثراء الفكر اللاهوتي المسيحي (وجوديا ومعرفيا وقيميا وفنيا).

٣ـ تجسد الوعي الصوفي عند هيلدغارد بعدّه انكشافا داخليا للعالم، تتجاوز فيه الرؤى الإلهية مع خبرات الواقع المعاش، ويتحول فيه الجسد من عنصر الفناء إلى مرآة الروح وبعدا تكامليا في وحدة إنسانية وجودية، والنفس من صراع داخلي إلى الطمأنينة، وفقا لمبدأ (الخضرة) كون الإنسان وجد في هذا العالم ليكون فعّالا لكل ما هو خير، لذلك لم يكن الوعي الروحي عندها انسحابا من الواقع وبقاء في عالم صوفي مثالي بعيد عن العالم الواقعي ومشكلاته، بل كان اندماجا عميقا فيه من أجل إدراك سره، وهو تجربة عبور من العتّمة إلى النور، من الانغلاق إلى الانفتاح على الله والعالم.

التوصيات:

١. يوصي البحث بإعادة دراسة واكتشاف التصوف الأنثوي في الفكر المسيحي الوسيط، والاهتمام بصوفيات ذلك العصر لفهم أعمق لأشكال الوعي الروحي، ودور المرأة الفيلسوفة الذي غاب كثيرا من معظم الدراسات وتواريخ الفلسفة.

٢ـ يقترح البحث التوسع بدراسة القراءة الجديدة التي قدمتها هيلدغارد عن الجسد وأهميته في كونه وسيطا للتجلي الإلهي، والذي يمهد بدوره إعادة دراسة علاقة الجسد بالتصوف في تاريخ الإنسانية عامة والفكر المسيحي خاصة، ومن جهة أخرى يوصي البحث بدراسة البعد الموسيقي (الفني) للتصوف عند الفيلسوفة المسيحية وفهم كيف شكلت الموسيقى عندها لغة روحية للتواصل مع المقدس، وهو جانب يندر تناوله من قبل الباحثين.

٣ـ يوصي البحث، وعلى نطاق أعم (المرأة) أن تعيّ ذاتها في كل زمان ومكان، وأن تكون سببا وعنصرا فعالا في تطور الفكر والمجتمع على حد سواء، وذلك بتجنبها السطحية والجهل (لا سيما في عصرنا الراهن) من جهة، ومن أخرى رفضها القاطع لأي قيود تعسفية، ومن أي نوع تجعل منها كائناً من الدرجة الثانية، وبالتالي استثمار كل قدراتها العقلية والجسدية من أجل تقديم الأفضل لذاتها والعالم، أسوة بشريكها في الوجود والإنسانية الرجل.

المصادر والمراجع:

- Alex Ross. (2023). Hildegard of Bingen . New York: the comsmos.
- Alexander J.B. Hampton John Peter Kenney. (2021). Christian phatonism . Cambridge Unversity.

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

ISSN: 1992-1136

- Andrew Weeks. (1993). German Mysticism from of Hildegard of Bingen ti Ludwig wittgenstein . New York : Abany.
- Anna Silvas. (1998). Jutta and Hildegard , The Biographical Sources . Brcpols.
- Anne Marie shimmel. (2025). Sufisme . Encyclopaedia Britannica.
- Barbara Newman. (1987). Sister of Wisdom St> Hildegard s Theology of the femine. LosAngeles : University of california press Berkeley.
- Bernard Meginn. (1994). The growth of Mysticism . New York: crossoad.
- Bertrand Russel. (1945). The History of Western philosophy . New York : Simon and Suchuster.
- Bonaventuer. (2020). In to God ltinerarium mentis) .Regis Jarmstrony Oleg Bychkov (المترجمون، The Catholic University of America.
- De sert Fathers. (1975). Selections from the sayings. cistercian publication Usa.
- Dinah Wouters. (2024). The separation of visionary experience and communicable form in Hildergard of Binged s vision Books . University of Groningen.
- Dioniysius the Areopagite. (1997). The Mystical Theology. C.E.Rolt Spck.
- Durant. (1926). The story of philosophy . New York : Simon and Schuster.
- Eckhart Meister. (2013). The complete Mystical works of meister Eckhart .)M.O.C.Walshe .P.em(المترجمون ،
- Etienn Gilson. (1991). The spirit of Mediaeval philosophy . London.
- Etienne Gilson. (1960). The Christian philosophy of Saint Augustine .)L.E.M.Lynch (المترجمون، New York.
- Etienne Gilson. (1965). The philosophy of Saint Bonaventure) .Domllityd Trethowan(المترجمون ،
- Etinne Gilson. (1954). History of Christian philosophy in the Middle Ages . New York : Random House.
- Evelyn Underhill. (1912). Mysticism , Astudy in the Nature and Development of Man s spiritual cansciouness . E.p. Dutton & co.
- Evelyn Underhill. (1912). Mysticism , Astudy in the nature and Development of Man s spiritual consccciouness. E.P. Dutton & CO.
- Fona Maddocks. (2003). Hildegard of Bingen the women of her Age. the crown publishing Grup.

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

ISSN: 1992-1136

- Hildegard of Bingen. (1987). The Book of Divine work s) .Matthew fox ، (المترجمونBear & company.
- Hildegard of Bingen. (1990). Scivias المجلد) Mother colum Ba Hart and Jane Bishop) .(Carolinne Walker Byum (المحرر ،New York: Mahwah.
- Hildegard of Bingen. (1996). Secrted of God) .Sabina Flangan Shambhala ، (المترجمونlu c.
- Hildegard of Bingen. (2000). Illuminations) .Matthew Fox (المحرر ،Bear & Co.
- Hildegard of Bingen. (2001). Selacted Writings) .Mark Atherton (المـحـرر ، Penguin classics.
- John D. White. (1998). The Musical world of Hildegard of Bingen . College Music society.
- Joshua J. Mark. (30 may, 2019). WW. World history .org ,٧ ٢٣ تاريخ الاسترداد . ٢٠٢٥
- M De wulf. (1909). History of Mediaeval philosophy. London: logmans , Green.
- Madigan Shawn. (1998). Mystics Visionaries and prophets , Anthology of Women s Spirtual writings . minnesota Augsburg Eortress.
- Mattew Fox. (2002). Illuminations of Hildegard of Bingen .
- McGinn Bernard. (1937). Middle Age ,Mysticism . New York.
- Peter Dronke. (1984). Women Writers of the Middle Ages , Acritical study of texts from perpetua to Marguerite porete . Cambridge University.
- Petroff Elizabeth Alvida. (1994). Body and Soul , Essays on Medieval women and Mysticism . New York: Oxford University.
- Richard Hoppin. (1978). Medieval Music. New York: Norton &Company.
- Sarah L. Higley. (2008). Hildegard of Bingen s un Knwn Languag . Palgrave Macmillan.
- St. Hildegard of Bingen. (2018). The Book of Divine works. M.compholIg washington , D.c.
- Symphonia Armonie. (1998). Celestium Revelationum) .Barbara Newman ، (المترجمونCornell University.
- Thomas Merton. (2008). An Introduction to Christian Mysticism) .Lawrence S. Cunnirgham (المحرر ،the merton Legacy Trust.

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

ISSN: 1992-1136

- Wright Craig. (2006). Music in Western Civilization Boston . Schinmer cengage Learning.
- ابن خلدون. (٢٠٠٥). المقدمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- ابو القاسـم القشـيري. (١٩٨٩). الرسـالة القشـيرية. (عبد الحليم محمود ومحمود بن شريف، المحرر) القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب.
- احسان الهي ظهير الباكستاني. (١٩٨٦). التصوف المنشأ والمصادر. باكستان: ترجمان السنة.
- ادوار جونو. (١٩٩٧٤). الفلسـفة الوسـيطية في المغرب المسـيحي. (علي زيعور، المترجمون) المطبعة البوليسية.
- الاصحاح الرسالة الاولى إلى كورنثوس. (بلا تاريخ).
- امام عبد الفتاح امام. (١٩٩٦). ارسطو والمرأة (المجلد الاولى). القاهرة: مكتبة مدبولي.
- اوغسـطين. (٢٠٠٥). محاورة الذات. (الخوري اسـقف يوحنا الحلو، المترجمون) بيروت: دار المشرق.
- اوغسطين. (٢٠٠٧). الاعترافات (المجلد ٨). (الخور اسقف يوحنا الحلو، المترجمون) بيروت: دار المشرق.
- اوغسـطين. (٢٠٠٨). خواطر فيلسـوف في الحياة الروحية (المجلد ٨). (الخوري يوحنا الحلو، المترجمون) بيروت: دار المشرق.
- اوولف تانكره. (١٩٥٦). خلاصة التصوف المسيحي. (الارشمندريت يوسف فرح، المترجمون) بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
- بؤثيوس. (٢٠٠٨). عزاء الفلسفة. تأليف بؤثيوس، واحمد عتمان (المحرر)، عزاء الفلسفة (عادل مصطفى، المترجمون). القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- تيودور حلاق. (٢٠٠١). الهوت الصـوفي حسـب القديس غريغوريوس، منشـورات المكتبة البوليسية.
- الجرجاني. (١٩٣٨). التعريفات. القاهرة . مصر.
- جورج طرابيشي. (١٩٩٨). مصائر الفلسفة بين المسيحية والاسلام. دار الساقي.
- جوزيبي سكاتولين. (٢٠١٣). تأملات في التصوف والحوار الديني. القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب.
- حسن حنفي. (٢٠٠٨). نصوص من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط. دار التنوير للطباعة والنشر.
- دينا شمس الدين علي يوسف (٢٠٢٥). التصوف عند فلاسفة القرن الثاني عشر هيلدغارد من بينجن نموذجا. المجلة العلمية بكلية الآداب. جامعة طنطا.
- عبد الرحمن بدوي. (١٩٧٩). فلسفة العصور الوسطى. الكويت: وكالة المطبوعات.
- عبد المنعم الحفني. (٢٠١٠). موسوعة الفلسفة والفلاسفة. القاهرة: مكتبة مدبولي.

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

ISSN: 1992-1136

- فردريك كوبلستون. (٢٠١٠). تاريخ الفلسفة، مجلد٢ قسم ١. (امام عبد الفتاح امام، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- محمد الخطيب. (٢٠٠٦). حضارة اوربا في العصور الوسطى. دمشق: منشورات علاء الدين.
- محمد بن احمد بن مصطفى بن احمد بن ابي زهرة. (١٩٦٦). محاضرات في النصرانية، القاهرة: دار الفكر العربي.
- مركز نون للتاليف والترجمة. (٢٠١٤). مكانة المرأة ودورها. جمعية المعارف الاسلامية الثقافية.
- مصطفى عبد الرزاق ماسنوس. (١٩٨٤). التصوف، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- مصطفى غالب. (١٩٨٦). افلوطين. بيروت: دار ومكتبة هلال.
- هايدجر. (٢٠١٢). الكينونة والزمن. (فتحي المسكيني، المترجمون) دار الكتاب الجديد.
- هيجل. (١٩٩٦). اصـــول فلســـفة الحق. (امام عبد الفتاح امام، المترجمون) القاهرة: مكتبة مدبولي.
- يوسف كرم. (١٩٤٦). تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط . القاهرة : دار الكاتب المصري.

Funding

This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Conflict of Interest

The authors declare that there is no conflict of interest regarding the publication of this paper.

Acknowledgments

The authors would like to extend their heartfelt thanks to Mustansiriyah University, College of Arts, for the moral support provided during the course of this research. The encouragement and guidance offered by the institution greatly contributed to the successful completion of this study

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .